

دراسة لوثيقة تاريخية بشأن "زيارة الأمير علي عبد القادر الجزائري لمدينة زليتن"

محمد أحمد شميلة

قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية - كلية الآداب - الجامعة الأسمرية الإسلامية

m.shmila@asmarya.edu.ly

حمزة عبد السلام زويد

قسم التاريخ - كلية الآداب - الجامعة الأسمرية الإسلامية

h.zaweid@asmarya.edu.ly

المستخلص

تعدّ مرحلة الغزو الإيطالي للبييا إحدى المراحل المهمة في تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر خاصة والعالم الإسلامي عامة، فقد كان نتيجة لظروف دولية ومحلية تعدت علاقة إيطاليا وطرابلس الغرب التي كانت تابعة للدولة العثمانية، والتي حملت مع هذه التبعية مسؤولية الدفاع عن هذه الولاية. هدفت هذه الدراسة إلى عرض وتحليل وثيقة تاريخية من أرشيف الزاوية الأسمرية توثق لزيارة الأمير علي بن الأمير عبد القادر الجزائري مرسلًا من السلطان العثماني محمد رشاد الخامس لأهالي مدينة زليتن محرضاً لهم على قتال الإيطاليين، وقد اتبع الباحثان المنهج التاريخي القائم على الوصف والسرود والتحليل، وخلصت الدراسة إلى عدة نتائج أبرزها أن السلطان العثماني كان مهتما بدعم المجاهدين وأن مدينة زليتن كانت محطة مهمة لأحداث المرحلة ...

كلمات مفتاحية: زليتن، الزاوية الأسمرية، الأمير علي ابن عبد القادر الجزائري، السلطان محمد رشاد الخامس.

المقدمة:

تعدّ مرحلة الغزو الإيطالي للبييا إحدى المراحل المهمة في تاريخ ليبيا الحديث — الولاية العثمانية الأخيرة في شمال أفريقيا — ، فقد كان نتيجة لعدة ظروف دولية ومحلية، خضعت خلالها الدولة العثمانية للاتحاديين وخلع السلطان عبد الحميد الثاني، ونُصّب محمد رشاد الخامس سلطاناً، وكانت الدول الأوروبية تتنافس فيما بينها لاحتلال ما تبقى من الولايات العثمانية، في الوقت الذي كانت طرابلس الغرب تابعة للدولة العثمانية التي تعرضت للغزو الإيطالي منذ 1911م كانت مدينة زليتن بزوايتها الأسمرية حاضرة في كل هذه الظروف وهذا ما سنسعى إليه من خلال الوثائق التاريخية التي تساعد على فهم الأحداث التاريخية وتبيان بعض الحقائق المخفية بسبب غياب الوثيقة التاريخية.

اليوم بين أيدينا وثيقة تاريخية مهمة توثق لزيارة الأمير علي بن عبد القادر الجزائري لمدينة زليتن والذي حضر مرسلًا من قبل السلطان العثماني محمد رشاد الخامس محرضاً على الجهاد... وتكمن أهمية هذه الدراسة في إبراز دور زليتن عبر التاريخ، وتبيان موقف زليتن كمحطة مهمة في التاريخ، وتكشف لنا عن موقف الأمير علي والذي رغم انضمامه لجمعية الاتحاد والترقي إلا أن فكر الجهاد ما زال حاضراً وهنا تبرز التساؤلات التالية: هل كان للسلطة العثمانية في ظل هذه الظروف دور في الدعوة للجهاد ومقاومة الاستعمار؟، ما هو دور السلطان محمد رشاد الخامس في التعامل مع هذا الوضع في ظل هذه الظروف؟ ما موقف الأمير علي من الغزو الإيطالي لطرابلس الغرب، لماذا كانت الزيارة من الأمير ولماذا كانت إلى زليتن وخاصة زاوية الشيخ عبد السلام الأسمر؟ أهداف الدراسة: تهدف هذه الورقة للتعريف بمدينة زليتن في أواخر العهد العثماني، والكشف على الوثيقة المحفوظة ضمن أرشيف الزاوية الأسمرية، وتهدف أيضاً لإبراز حضور مدينة زليتن في الأحداث الدولية.

منهج الدراسة: سنتبع خلال هذه الدراسة المنهج التاريخي القائم على الوصف والسرود والتحليل، وقد وضعنا خطة علمية لهذه الدراسة تكونت من بحثين وخاتمة، فجاء المبحث الأول للتعريف بمدينة زليتن، ونبذة تاريخية عن الزاوية الأسمرية، أما المبحث الثاني فجعلناه للتعريف بالسلطان العثماني والأمير علي بن عبد القادر الجزائري والتعريف بالوثيقة وتحليلها، وكان عملنا على الوثيقة أن قمنا بكتابتها بالإملاء القياسي المتعارف عليه، ووضع علاقات

الترقيم، وتصويب الأخطاء الإملائية، ومحاولة وضع كلمات بدل المفقودة ليستقيم معنى الكلام، ثم خاتمة حوت أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: التعريف بمدينة زليتن وزاوية الشيخ عبد السلام الأسمر

المطلب الأول: التعريف بمدينة زليتن

اتفق معظم الباحثين الذين تطرقوا إلى أصل تسمية مدينة زليتن بأن اللفظة محلية⁽¹⁾، حيث كانت تطلق على إحدى قبائل هواره التي سكنت هذه المنطقة في قديم العصور بمسمى يصلتن، وهو ما ذكره ابن حزم في كتابه جمهرة أنساب العرب: (بأن الاسم مشتق من الجد الأعلى للقبيلة وهو يصلتن ابن مصرا ابن زاكية ابن روسيك ابن الديديت)⁽²⁾، وقد وردت تسمية المدينة عبر العصور بعدة تسميات منها يزليتن، ويوزليتن⁽³⁾، وهو ما يؤيد محلية الاسم وقربها من أصلها القديم يصلتن.

كما ذكرت في بعض العصور بمسمى ظليتن⁽⁴⁾، حيث استبدلت الزاي بالطاء وهو ما دفع بعض الباحثين إلى القول إن الاسم عربي مأخوذ من ظل التين إشارة إلى وفرة أشجار التين في المدينة⁽⁵⁾ وقد فُتد هذا الرأي لافتقاره للأدلة التاريخية واللغوية، واستمر مسمى ظليتن في التطور حيث كتبت زليطن فترة من الزمن إلى أن استقر بها الحال إلى زليتن.

وهي مدينة ساحلية تقع على الساحل الغربي على بعد 150 كم شرق مدينة طرابلس، بساحل يمتد 65 كم، تحدها مصراتة شرقاً، والخمس ومسلاتة وترهونة غرباً، وبني وليد جنوباً، تشغل مساحة من الأرض تصل إلى (2470 كم مربع)⁽⁶⁾. اشتهرت بالنشاط الاقتصادي حيث إنها مدينة زراعية تكثر فيها أشجار النخيل والزيتون إلى جانب اشتغال أهلها بالتجارة وهذا يظهر في كثرة المتاجر بالمدينة، وتعد أحد مراكز التصدير للخارج حيث اشتهرت بتصدير نبات الحلفا⁽⁷⁾. وهي مدينة حضرية مأهولة بالسكان ذات إشعاع فكري، استقطبت العديد من طلاب العلم والمعرفة، يغلب عليها الطابع الديني، حيث انتشرت الزوايا والكتاتيب في ربوعها، تميّزت بكثرة القباب فيها وهي دلالة على انتشار التيار الصوفي فيها، وهو ما كان سائداً في ذلك العصر.

لعب التعليم الديني وكثرة العلماء بها والدعاة دوراً بارزاً في استقرار المدينة، ونشر المعرفة والعلوم الدينية حتى أصبحت مقصداً لطلاب العلم والزوّار فكانت الزاوية الأسمرية أهم المراكز الدينية بالمدينة.

زليتن كما وصفها الصحفي الفرنسي جورج ريمون⁽¹⁾ (مارس 1912م)

لقد وصلنا زليتن بمرورنا بمنطقة عين كعام⁽²⁾، وهي بلدة متناصفة التخطيط، لها شهرة كبيرة في ليبيا فهي تضم ضريح الشيخ عبد السلام الأسمر، يبلغ عدد سكانها ما بين ثلاثين وأربعين ألف نسمة، وتبعد عن الشاطئ بمسافة ثلاثة كم، وقد شيدت بيوتها على هيئة مكعبات ذات جدران وأسطح بيضاء محاطة بأشجار النخيل، وكانت قد تعرضت لقصف المدفعية

(1) معجم البلدان الليبية، الزاوي، دار الاتحاد والطباعة، 1968م، ص: 170. وسكان ليبيا، هنريكو دي أوغسطيني، تعريب خليفة التليسي، دار الثقافة ببيروت، 1975م، ص: 209. وزليتن دراسة في العمارة الإسلامية، سعدي الدراجي، منشورات القيادة الاجتماعية زليتن، 2003م، ص: 17.

(2) جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، تح: عبد السلام هارون، دار المعارف مصر، 1965م، ص: 498.

(3) التذكار، ابن غلبون، تح: الطاهر الزاوي، ط: 2، مطبعة الفجالة الجديدة طرابلس، 1967م، ص: 189.

(4) وثيقة من الأهالي للسلطان عبد الحميد الثاني يطالبون فيها بجعل قضاء ظليتن من الصنف الأول (ملحق رقم: 1).

(5) زليتن دراسة في العمارة الإسلامية، الدراجي، مصدر سابق، ص: 18.

(6) منطقة زليتن دراسة في جغرافية السكان، مفتاح البرطاع، كلية الآداب والعلوم زليتن، المرقب، ص: 3.

(7) نبات الحلفا كمورد اقتصادي بولاية طرابلس، فتحية المريمي، 2006م، مركز جهاد الليبي، ص: 113.

(1) صحفي فرنسي أوفدته مجلة المصور Illustration الفرنسية كمراسل حربي إلى ليبيا وقد دخل من الحدود التونسية في 17 يناير 1912م وظل ينتقل بها حتى

دخل مصر في 20 مايو من نفس السنة، وقد نشرت مذكراته تباعاً بين فبراير 1912 وحتى يونيو من نفس السنة قبل أن ينشرها المؤلف في كتاب، من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا، جورج ريمون، ترجمة محمد الوافي، ط: 3، 1988م، منشورات جامعة قاريونس بنغازي، ص: 14.

(2) - تقع في الغرب من زليتن وقد وقعت فيها معركة بين مجاهدي زليتن والايطاليين سنة 1915م، معجم البلدان الليبية، الطاهر الزاوي، مصدر سابق، ص:

دراسة لوثيقة تاريخية بشأن "زيارة الأمير علي عبد القادر الجزائري لمدينة زليتن"

الإيطالية، فقد وقعت قذيفة على أحد بيوت اليهود فقتلت أحد زواره، وسقطت قذيفة أخرى في متجر لكنها لم تنفجر، كما أصابت قذائف أخرى جدران بعض البيوت، وكما تعرض مبنى الجمارك البحرية التابع لبلدة زليتن للقصف أكثر من مرة وأصابته حوالي مائتي قذيفة.⁽³⁾

وبناء على هذا الوصف فإن المدينة كانت تحت وطأة قصف المدافع الإيطالية التي ضيقت الخناق على الأهالي وذلك قبيل زيارة الأمير علي بن الأمير عبد القادر الجزائري، حيث كان سكان المدينة في حالة سخط وتذمر من الغزو الإيطالي فجاءت زيارة الأمير علي دعماً وتشجيعاً للسكان على صمودهم وصدهم للغزو الإيطالي للمدينة وتعبيراً على مدى تلاحم المسلمين شرقاً وغرباً.

ومن خلال التعريف بالمدينة في فترة زيارة الأمير علي بن الأمير عبد القادر تبين للباحثين مدى أهمية المدينة ودورها الريادي منذ القدم حيث كانت محط أنظار واهتمام العالم، فقد شهدت هذه الفترة زيارة شخصيتين بارزتين للمدينة، وقد كان الدور المحوري لشهرة المدينة من خلال المراكز الدينية المنتشرة بكثرة في المدينة والتي من أهمها زاوية الشيخ عبد السلام الأسمر التي كانت قبلة لزوار المدينة.

المطلب الثاني: زاوية الشيخ عبد السلام الأسمر

اختلف المؤرخون في تاريخ تأسيس زاوية الشيخ عبد السلام الأسمر إلى عدة أقوال⁽¹⁾ والراجح أنها في أوائل القرن العاشر الهجري، وتنسب الزاوية للشيخ عبد السلام بن سليم الفيتوري الملقب بالأسمر⁽²⁾، المولود ببلدة زليتن سنة 880 هـ تقريباً⁽³⁾.

وقد كانت الزاوية قبلة لطلاب العلم منذ قديم الزمان ولا زالت، وقد وصفت من قبل بعض الرحالة بأنها أنيقة المنظر، رائعة الجمال، وضريحها في غاية الانشراح، وقد كانت ذات هبة وحسن بهاء كما وصفها الرحالة جون فرانسيس ذات قباب بيضاء منتصبة فوق المسجد المحاط من كل الجهات بالنبيل⁽⁴⁾.

ويصف الصحفي جورج ريمون علاقة أهالي مدينة زليتن بالشيخ عبد السلام الأسمر — الذي مر بمدينة زليتن قبيل وصول الأمير علي بن عبد القادر الجزائري — أن علاقة الناس بالشيخ كانت علاقة روحية، وهكذا أصبحت الزاوية الأسمرية منارة علمية منذ تأسيسها، واشتهر أمرها في تعليم العلم وتحفيظ القرآن، وبقيت طيلة الفترة حتى تاريخ هذه الدراسة من أشهر مراكز الثقافة الإسلامية، ومن أمهات الزوايا الصوفية في شمال أفريقيا، بل في العالم الإسلامي، ولعظم مكانة الزاوية وما تمثله من دور دعوي وارتباط روحي بسكان المدينة كانت إحدى المحطات المستهدفة لزيارة الأمير علي الجزائري؛ ولا نغفل أيضاً أن الزاوية كانت محل تقدير واهتمام السلطات العثمانية فقد منحها السلطان عبد الحميد الثاني⁽⁵⁾

(3) من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا، جورج ريمون، مصدر سابق، ص: 191-199.

(1) يقدر الطاهر الزاوي في كتابه معجم البلدان الليبية تاريخ بناء الزاوية سنة 900 هـ، أما عبد السلام بن عثمان في كتابه فتح العليم فيحدد بناءها سنة 971 هـ - 1563م، وعلى الرغم من أن بن عثمان توفي سنة 1139 هـ فهو أقرب المؤرخين لعصر الشيخ عبد السلام إلا أن تقدير سنة البناء يراه بعضهم بعيداً فالشيخ عبد السلام توفي سنة 981 هـ ومن غير المعقول أن يضل تسعون عاماً دون تأسيس الزاوية، كما أن الأحداث التاريخية تثبت أن الزاوية قائمة قبل هذا التاريخ فما زيارة والي طرابلس مراد آغا لمدينة زليتن إلا زيارة لزاوية الشيخ عبد السلام والتي كانت قبل التاريخ الذي ذكره بن عثمان، كما تناقل الباحثون قولاً ثالثاً لتاريخ التأسيس وهو 912 هـ إلا أنه يفتقر إلى مصدر قديم، فذكره رحومة بوكرحومة في كتابه الزاوية الأسمرية العلمية ودورها التربوي وغيره من الباحثين، ويرى الباحثان أن سبب تضارب هذه الأقوال ربما يعود إلى أن الشيخ قد قام ببناء أكثر من زاوية والتي كان آخرها هي التي موجودة الآن

(2) لُقّب بالأسمر لسمره الليالي في طاعة الله، ذكر ذلك البرموني في كتابه تنقيح روضة الأزهار، تح: محمد مخلوف، مكتبة زهران مصر، 1997م، ص: 77.

(3) أعلام ليبيا، الطاهر الزاوي، المدار الإسلامي ببيروت، ص: 222.

(4) من طرابلس إلى فزان، الرحالة جون فرانسيس ليون، 1818، ترجمة مصطفى جودة، الدار العربية للكتاب، تونس، 1976م، ص: 248.

(5) السلطان عبد الحميد ابن عبد المجيد الثاني ولد في اسطنبول عام 1842م كان عمره عند اعتلاء العرش 34 عاماً تولى السلطنة سنة 1876 وخلع على يد الاتحاديين سنة 1909م وتوفي باسطنبول سنة 1918م. سلاطين الدولة العثمانية، صالح كولن، ترجمة منى جمال، 2014م، دار النيل للطباعة والنشر القاهرة، ص: 310.

الهبات والهدايا وأوقف عليها الأوقاف، ومن قبل ذلك زارها والي العثماني مراد آغا والي طرابلس الذي لاقى ترحابا من أهالي المدينة.

المبحث الثاني: دراسة تحليلية للوثيقة محل الدراسة

تعكس الوثائق الأخبار والأحداث الماضية ومجريات الأمور فيها فهي مصدر من مصادر البحث التاريخي، والوثيقة تحفظ لنا تاريخ مهما وتبرز أهمية الوثيقة من أهمية كاتبها والمكان الذي كتبت فيه والمضمون، وتعد مصدرا موثوقا كونها تنقل الأحداث من صانعيها ، وليست كمصدر الرواية الشفوية التي تعتمد على ذاكرة الناقل والتي قد تحتمل الزيادة والنقصان ، فالوثيقة تعتمد على تحليل الباحث لإبرازها وبيان مضمونها وتتبع الأحداث التاريخية وتوثيقها في زمن كتابتها، وهي مصدر المعلومات التي تساعد على تتبع تاريخ الأحداث (وهي مصدر أولي أصلي لا إرادي معاصر للأحداث التي تصفها أو تفسرها هذه الوثائق، وله قيمة لمقدرته على تحري الصدق).⁽¹⁾

ولدراسة الوثيقة نشأ علم خاص بعلم الوثائق هو ذلك العلم المختص بدراسة الوثائق وتحليلها ، مثل السجلات والفواتير والتقارير ، وهو علم أساسي من العلوم المساعدة لعلم التاريخ، وتنقسم الوثائق إلى نوعين منها الوثائق المنشورة وهي التي تم نشرها في الكتب والدوريات والمجلات العلمية والوثائق غير المنشورة وهي المحفوظة في الأرشيف وخزائن المخطوطات والمراكز العلمية وأرشيف الزوايا،

يندرج تحت النوع الثاني من الوثائق الوثيقة التي بين أيدينا وهي مخطوطة (2) غير منشورة كتبت في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري بخط كاتبها الأمير علي بن الأمير عبد القادر الجزائري مرسلا من السلطان العثماني محمد رشاد خان إلى أهالي مدينة زليتن ، وسيأتي بيان تفصيلها ووصفها وتحليل مضمونها في هذا المبحث.

المطلب الأول: التعريف بالسلطان محمد رشاد والأمير علي الجزائري

أولا: السلطان العثماني محمد رشاد الخامس

محمد بن عبدالمجيد رشاد الخامس، ولد في اسطنبول سنة: 1844م، أحد السلاطين العثمانيين كان عمره عند اعتلاء عرش الخلافة خمسة وستون عاما، ويعد أكبر السلاطين العثمانيين سنا عند تولي الحكم، وقد أنهكت السنوات المضطربة السلطان، وكان قليل الخبرة بشؤون الحكم لكبر سنه، وكان زاهدا متدينا ملتزما بأداء الصلوات فهو السلطان الوحيد الذي تولى الخلافة على مضض فتصفه المصادر أنه كان مسلما ورعا تقيا وسلطانا كريما رحيمًا، لقب بالسلطان الغازي، تولى مقاليد الحكم عقب انقلاب عسكري على أخيه السلطان عبد الحميد الثاني (بعد أن قرر الاتحاديون خلع السلطان عبد الحميد، اجتمع مجلس المبعوثان في سان ستيفانو⁽¹⁾ في شكل جمعية وطنية وأعلن موافقته على خلع السلطان عبد الحميد بمقتضى فتوى شيخ الإسلام ، خلع السلطان عبد الحميد ونفي إلى سالونيك⁽²⁾ وجرى تعيين السلطان محمد رشاد الخامس الذي أعلن أنه سيخدم الشريعة والدستور وإرادة الأمة التي اختارته، ويذكر أن السلطان الجديد لم يكن عالما بأحوال العالم الخارجي فما لبث أن أصبح ألعبوبة في يد الاتحاديين⁽³⁾، وقد كانت فترة خلافته مقيدة بسبب أنشطة حزب الاتحاد والترقي الذي كان يفسر الدستور بطريقة تمنع السلطان من التدخل في شؤون الدولة، وكان معروفًا عنه زهده واقتصاده في النفقات ، وكان ينفق بسخاء على الحرمين الشريفين.

حدثت في عهده إصلاحات مهمة مثلت نقطة الانطلاق لتأسيس الجمهورية التركية، وفي عهده تعرضت ولاية طرابلس الغرب آخر ولاية عثمانية في شمال أفريقيا للغزو الإيطالي، وحاول السلطان الوقوف مع أهالي طرابلس وحثهم على المقاومة مترجما ذلك في خطابات قام بها من ضمنها إرساله للأمير علي بن عبد القادر الجزائري إلى أهالي طرابلس الغرب لحثهم على الجهاد.

(1) مقدمة في علم الوثائق، محمد إبراهيم السيد، 1987م، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة، ص: 31.

(2) يقصد بالمخطوطة هي التي لم تطبع ولا تزال بخط المؤلف ، تاريخ المكتبات والوثائق والمخطوطات في ليبيا، عبد الله الشريف ومحمد الطوير، 1998م، دار الملتقى للطباعة والنشر بيروت ص: 169.

(3) قرية على ساحل بحر مرمرة تبعد أحد عشر كيلومترا غرب المدينة التاريخية القديمة لإسطنبول، حاليا جزء من إسطنبول،

<https://ar.wikipedia.org/wiki>

(2) مدينة رومية قديمة تقع جنوب بلاد مقدونية على بحر أرخبيل اليونان وهي اليوم من مدن اليونان، <https://ar.wikipedia.org/wiki>

(3) في أصول التاريخ العثماني، أحمد عبد الرحيم مصطفى، دار الشروق بيروت، 1982م، ص: 273.

دراسة لوثيقة تاريخية بشأن "زيارة الأمير علي عبد القادر الجزائري لمدينة زليتن"

وفي آخر عمره أنهكه المرض حيث كان السلطان المذكور مصاباً بمرض السكر، فالتزم قصره وحجب نفسه عن الظهور إلا في الاحتفالات السلطانية إلى أن توفاه الله فجر ليلة القدر من شهر رمضان المبارك عام 1918م.⁽⁴⁾ ثانياً: الأمير علي باشا الجزائري

علي بن عبد القادر بن محيي الدين الجزائري، ولد في دمشق سنة 1276 هـ، 1859م تقريباً، وقد أسماه أبوه علياً تيمناً باسم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، نبغ منذ صغره وتولع بالعلوم فأتَمَّ دراسته الدينية على يد الشيخ أحمد أفندي الخلواني وقرأ العربية على الشيخ محمد الطنطاوي، ودرس الحديث والأصول على الشيخ البيطار فكان الأمير شغوفاً بالعلم منذ صغره، كان يتقن اللغة التركية والفرنسية، نشأ محباً للمجد والفروسية والدين، فقد غرس فيه أبوه الأمير عبد القادر حبّ الدفاع عن المسلمين والذود عن أعراضهم، خاصة بعد تشتت أمرهم وتجدد الحملات الصليبية على البلاد الإسلامية، وقد كان مولعاً بالجهاد ضد الاستعمار، فقد قال قولته الشهيرة متحدثاً عن والده: ((لقد قاوم الفرنسيين مدة ربع قرن أما أنا فإني مستعد لمقاومة الإيطاليين في ليبيا طيلة حياتي...)) ارتبط الأمير علي بالدولة العثمانية، فقد كان عضواً في مجلس المبعوثان العثماني، وولاه السلطان حاكماً على القنيطرة سنة 1896م، فهو محل ثقته ويعتمد عليه في بعض المهام فقد كان الأمير مقرباً من بلاط السلطان وذلك لزوجاه من شقيقة الكاتب الثاني للسلطان عبد الحميد وظل الأمير علي محل ثقة الدولة العثمانية حتى بعد خلع السلطان عبد الحميد.

بعد تعرض طرابلس الغرب للغزو الإيطالي في عهد السلطان محمد رشاد أصبح موقف الدولة العثمانية محرجاً، فطرابلس الغرب آخر الولايات العثمانية في شمال أفريقيا، فلماذا حاولت السلطات العثمانية الحيلولة دون سقوط هذه الولاية فأرسلت الرسل إلى مقاطعتي طرابلس وبنغازي لرفع معنويات المجاهدين الليبيين، وبما أن الأمير علي بن عبد القادر الجزائري كان محبوباً من أهالي طرابلس الغرب وذا حضوة عندهم اختاره السلطان محمد رشاد مبعوثاً له إلى طرابلس الغرب⁽¹⁾.

بعد وفاة الأمير عبد القادر الجزائري⁽²⁾، ارتبط بعض أبنائه بالدولة العثمانية وهم محمد ومحيي الدين وعلي، وقد اشتهر الأبناء الذين والوا الدولة العثمانية في العالم الإسلامي أكثر من غيرهم، فكان الأمير علي عضواً في مجلس المبعوثان العثماني عن سوريا، وقد حمل الجنسية التركية، وقد ولي حاكماً على القنيطرة سنة 1896م، ويُذكر أنه في سنة 1907م كان هو الرئيس الفعلي للعائلة رغم وجود أخيه محمد، وقد ملك الأمير علي أراضٍ شاسعة وأملاكاً في حوران⁽³⁾، ولقد حاول الفرنسيون جرّ الأمير لصفهم والاستفادة من نفوذه في المشرق لكنه لم يكن ميالاً لهم وفضّل الانحياز للدولة العثمانية⁽⁴⁾، كان الأمير قد تزوج من شقيقة عزت باشا العابد وهو أحد أعيان سوريا، والكاتب الثاني للسلطان عبد الحميد، وربما هذا هو الجاه الذي فتح له الطريق للبرلمان، وقد انضم الأمير علي باشا الجزائري إلى جمعية الاتحاد والترقي⁽⁵⁾، وكان رئيساً لفرع جمعية الاتحاد والترقي في دمشق، وعند بدء الغزو الإيطالي على ليبيا أولت السلطات العثمانية اهتماماً بهذا الحدث فأرسل السلطان محمد رشاد الأمير علي إلى طرابلس الغرب نظراً لمكانة الأمير عند أهالي طرابلس الغرب وذلك لمحاولة التصدي للغزو الإيطالي، تجهز الأمير علي مع كوكبة من المجاهدين بصحبة ابنه عبد القادر لحث القبائل الليبية على الجهاد ضد الغزو الإيطالي والمشاركة معهم في الجهاد، وعندما كان يتجهز للسفر من دمشق إلى ليبيا للجهاد

(4) سلاطين الدولة العثمانية، صالح كولن، مصدر سابق، ص: 334.

(1) حياة طيب الذكر الأمير علي بن الأمير عبد القادر، نخبة من الكتاب، 1918م، مطبعة الترقى دمشق، ص: 27-7.

(2) الأمير عبد القادر بن محي الدين الجزائري، ولد سنة 1807م، أصل أسرته من المغرب الأقصى، حفظ القرآن الكريم ودرس الفقه على والده، تولى الإمارة بعد والده، وقد قاوم الاستعمار الفرنسي، توفي سنة 1882م ودفن بدمشق، وقد نقل رفاته إلى الجزائر مؤخراً. الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، تح: نزار أباضة، دار الفكر المعاصر بيروت دمشق ص: 9، 10.

(3) حوران يفتح الحاء وهي كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلية ذات قرى كثيرة ومزارع، فتحت قبل دمشق، معجم البلدان، ياقوت الحموي، ط: 1995، 2، دار صادر بيروت (318/2).

(4) تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي بيروت، (552/5).

(5) تأسست نواة هذه الجمعية سنة 1889م من قبل طلبة المدرسة الطبية العسكرية، هدفها محاربة استبداد السلطان العثماني وإعادة الحياة الدستورية للبلاد، وارتبطت بالحركة القومية التركية، جمعية الاتحاد والترقي وأثرها في قيام الثورة العربية الكبرى، عهد محمد الخرشنة، رسالة ماجستير مقدمة في جامعة مؤتة الأردن سنة 2004م.

ضد الإيطاليين قال عبارته الشهيرة: (لقد قاوم والدي الفرنسيين مدة ربع قرن ، أما أنا فإنني مستعد لمقاومة الإيطاليين في ليبيا طيلة حياتي).⁽⁶⁾

نزل الأمير علي باشا الجزائري رفقة ابنه عبد القادر في طبرق في أواخر أكتوبر 1911م تقريبا، ومنها مرّ إلى درنة ثم بنغازي ومنها إلى سرت ثم زليتن ومنها إلى طرابلس، وقد استقبله أهل ليبيا بحفاوة خاصة، وقد أقيمت له الاحتفالات الدينية برعاية الطرق الصوفية، وكان في استقباله الليبيون والأتراك صحبة حاكم سرت⁽¹⁾ وقد زار معسكر المجاهدين بسرت وخطب في الناس محفزا إياهم على الجهاد،

وعند خروج الأمير علي من سرت متجها إلى طرابلس للدفاع عن أرض العروبة والاسلام، صرح ابنه الأمير عبد القادر قائلا: ((إن والدي لا يمل ولا يتعب، فهو ذاهب الآن لخوض المعارك في مدينة طرابلس ضد الإيطاليين، لأنه يأبى أن تتعاس ذرية الأمير عبد القادر الجزائري عن الدفاع عن أرض العروبة والإسلام)).⁽²⁾

وفي أثناء طريق الذهاب إلى طرابلس مر بمحطات منها مدينة زليتن وقد نزل ضيفا بزواية الشيخ عبد السلام الأسمر. وقد كان لزيارته للمدينة وقع كبير من خلال تحريضه على مقاومة الغزو الإيطالي مما زاد من قوة عزيمة المجاهدين في مدينة زليتن فتصدوا للغزو الإيطالي وقد كانت لهم صولات وجولات معه من خلال معارك ضارية خلدها التاريخ في سجلاته.⁽³⁾

وبعد حياة حافلة بالجهاد والنضال خاصة في سبيل نصره الدين الإسلامي والدفاع عن قضية وحدة المسلمين المتمثلة في إقامة الجامعة الإسلامية توفي الأمير في الأستانة بمرض لم يقوى على احتماله في الثاني من رجب سنة 1336 هـ، الموافق 1918م.⁽⁴⁾

المطلب الثاني: التعريف بالوثيقة

الوثيقة التي بين أيدينا هي صورة من مخطوط في أرشيف الزاوية الأسمرية بمدينة زليتن، كتبها الأمير علي بن عبد القادر الجزائري أثناء زيارته إلى زليتن قادما من المشرق، كتبت في سجل زيارات الزاوية الأسمرية باللغة العربية. وصف سجل الزيارات: وقد وصفه لنا مدير مركز الوثائق والمخطوطات بالزاوية قائلا: إن السجل كان محفوظا ضمن مخطوطات الزاوية المحفوظة في أرشيفها، وكان قديما موضوعا في مقام الشيخ عبدالسلام وذلك لتوثيق الزيارات للزاوية، وحجمه حوالي 40 سم x 30 سم ولون غلافه بني فاتح اللون، وورقه أصفر به خطوط من أعلى إلى أسفل على هيئة أربعة أعمدة، ومسطر بشكل أفقي وهذا يشير أن السجل من نوع الدفاتر المعدة للحسابات المالية، والكتابة فيه بعضها منتظم مع التسطير وبعضها الآخر غير منتظم، والخطوط المستخدمة منها ما هو مشرقى ومنها ما هو مغربي، مما يدل على أن الزوار من جميع أنحاء البلاد الإسلامية، وسلامة الكتابة تعتمد على المستوى العلمي للزائرين، ولا يمكن الجزم بتاريخ فتح السجل إلا أنه أطلع على إحدى ورقات السجل تحمل تاريخ 1304 هـ الموافق 1887م⁽¹⁾، وقد فقد سجل الزيارات من الزاوية إثر الأحداث التي وقعت يوم 2012/8/24م.

وصف الوثيقة: تقع هذه الوثيقة ضمن ملف أرشيف الزاوية سجل الزيارات مرقمة برقم (234)، وقد كتبت بخط الرقعة وهي بخط مقروء وواضح، تقع في 17 سبعة عشر سطرا، في كل سطر حوالي إحدى عشر كلمة، مؤرخة بالسابع عشر من ربيع الثاني سنة 1330 هجري وهذا التاريخ يوافق الخامس من أبريل 1912م، يوجد في أعلى الصفحة رقم (234) بقلم الحبر الأزرق بخط مغاير مما يدل أن السجل لم يكن مرقما، وأن الترقيم جاء فيما بعد تحليل مضمون الوثيقة:

(6) من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا، جورج ريمون، مصدر سابق، ص: 222-225.

(1) ينظر ملحق رقم 4، ص: 18.

(2) من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا، جورج ريمون، مصدر سابق، ص: 228.

(3) للاستزادة ينظر معجم معارك الجهاد في ليبيا، خليفة التليسي، 1983، الدار العربية للكتاب، ص: 265-266.

(4) حياة طيب الذكر الأمير علي بن الأمير عبد القادر، نخبة من الكتاب، مصدر سابق، ص: 165.

(1) رواية شفهية من الأستاذ فتحي سالم الزريقاني مدير مركز الزاوية الأسمرية للوثائق والمخطوطات بتاريخ 2022/8/28م.

دراسة لوثيقة تاريخية بشأن "زيارة الأمير علي عبد القادر الجزائري لمدينة زليتن"

بدأت بحمد الله والصلاة والسلام على رسوله، ثم أطنب في التعريف بصاحب المقام الشيخ عبد السلام بخطاب صوفي وهذا ما كان سائدا في ذلك العصر، ثم ذكر أسباب قدومه للبلاد وهي :

1- مشاركة الليبيين في جهادهم ضد الغزو الإيطالي، وهذه كانت رغبته منذ بداية الغزو الإيطالي على ليبيا فقد كان يتحين الفرص للقدوم والمشاركة في الجهاد فقد قال: (لقد قاوم والدي الفرنسيين مدة ربع قرن، أما أنا فإنني مستعد لمقاومة الإيطاليين في ليبيا طيلة حياتي).

2- تحريض الليبيين على مقاومة الغزو الإيطالي والدفاع عن بلادهم.

3- جاء الأمير علي مرسولا من السلطان العثماني محمد رشاد خان محرضا على مقاومة الغزو الإيطالي ومبلغا سلامه لأهالي زليتن.

تميز أسلوب الأمير علي من خلال هذه الوثيقة بتبيين أسباب الغزو الإيطالي لليبيا وهو الاستيلاء على هذه البلاد، ومن خلال خطابه يدل أن الأمير علي كان واثقا من نصر الله متوكلا عليه متيقنا من خذلان وهزيمة الإيطاليين، داعيا الله لحماية هذا الوطن، وامتناز أيضا خطاب الأمير بالدعوة إلى الاتحاد تحت راية السلطان العثماني، مؤيدا وداعيا لفكرة الجامعة الإسلامية التي كان متأثرا بها، فقد كان يتكلم وكأنه أحد الليبيين حيث يصف العدو الإيطالي بكلمة عدونا فقد كررها عدة مرات. من خلال القراءة المتعمقة للوثيقة نلاحظ ثناء الأمير علي كرم الضيافة لأهالي مدينة زليتن فقد أحسنوا وفادته وأكرموا غاية الإكرام وهذا ديدن أهالي مدينة زليتن.

ختم الأمير خطابه المكتوب بالتاريخ باليوم والشهر والسنة والتوقيع باسمه الثلاثي وهو ما يدل على المستوى الثقافي الذي يتمتع به.

نص الوثيقة: الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وتابعيه، إلى يوم الدين... آمين
أما بعد: فإنني تشرفت بزيارة سيدي الولي الصالح، والقطب الرباني، صاحب الكرامات الظاهرة والباطنة، الشيخ الكامل، والمرشد الواصل إلى درجة الكمال، سيدنا ومولانا وقودتنا إلى الله تعالى السيد عبد السلام الأسمر بن سيدنا سليم الحازمي الفيتوري، الشريف المشهور [...] (1) القدم المنصور، الحسني، نفعا الله بمدده وسر روحانيته المباركة، وحشرنا في زمرة يوم الفزع الأكبر، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وكان سبب قدومي لهذه البلاد المباركة القدوم على الجهاد، وتحريض المؤمنين على قتال الكفار - الذين مرادهم الاستيلاء على هذه البلاد، آفة الكفر والظلال أمة الطالين، خذلهم الله وخزاهم، وحملهم هذه البلاد منهم ومن غيرهم بمدد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبمدد رجال الله الصالحين، وبمدد هذا الغوث العظيم، الذي نحن في حماه، فلا بد أن تأخذ الغيرة والحمية على أولاده وعلى وطنه العزيز حيا وميتا، فلا نشك بخذلان عدونا الطالين المخذول، ونصرت ديننا المحمي بظل ظليل أمير المؤمنين، وحامي حوزة هذا الدين السلطان ابن السلطان الغازي محمد رشاد خان، نصره الله وقهر أعداءه - وكان هو السبب الوحيد لإرسالي لهذه البلاد لتحريض المؤمنين على القتال، وتبليغ عموم الأهالي والمجاهدين سلامه الغالي، فليت وتشرفت بزيارة الصالحين وأهالي البلاد الذين أخذوا بيدنا وبنصرة [...] (2) جزاهم الله أحسن الجزاء والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

17 ربيع الثاني 1330 هـ ... حرره بقلمه علي ابن الأمير عبد القادر الحسني الجزائري

(1) توجد كلمة غير مقروءة.

(2) كلمة مفقودة يحتمل أن تكون (الدين).

تصويب الأخطاء الإملائية في الوثيقة:

رقم السطر	الخطأ	الصواب
7	تحريض	تحريض
8	الظلال	الضلال
9	الطالين	الطلين
12	الطالين	الطالين
13	نصرت	نصرة
13	حوزه	حوزة
15	لتحريض	لتحريض

الخاتمة

- من خلال اطلاعنا على الوثائق والمخطوطات نجد أنفسنا أمام دعوة ملحة للاهتمام بالمصادر المحلية للمدينة وتحليلها وإخراجها للبحث والدراسة والمقارنة، فمصادرنا المحلية — المتمثلة في المخزون التراثي المحفوظ في المراكز الدينية وعند أهالي المدينة — هي الأولى بالتتبع والتحقيق والتحليل؛ وذلك لإعادة كتابة تاريخ المدينة المشرف بشكل علمي دقيق فلازالت كل يوم تخرج علينا العديد من الآثار والمصادر التي تحفظ تاريخ المدينة، وما هذه الوثيقة إلا إشارة إلى بذل المزيد من البحث والتنقيب على هذا التاريخ المتناثر بين أرفف الزوايا الدينية وبيوت العائلات.
- وبعد رحلة ممتعة من البحث والدراسة توصل الباحثان إلى العديد من النتائج من أهمها:
- ✓ أن مدينة زليتن ذات إشعاع فكري وديني تزخر بكثرة العلماء ومقصدا لطلاب العلم، وهي مركز اقتصادي هام وقديما كانت تشتهر بتصدير نبات الحلفاء، وتشهد استقرارا اجتماعيا واقتصاديا.
 - ✓ لعبت مدينة زليتن دورا بارزا في الدعوة إلى الله وذلك من خلال الزوايا والكتاتيب التي تشتهر بها المدينة وعلى رأسها زاوية الشيخ عبد السلام الأسمر التي كانت تعد الواجهة الاجتماعية والسياسية للمدينة.
 - ✓ للزاوية الأسمرية أهمية كبرى لدى الباب العالي وقد برزت هذه الأهمية من خلال علاقة السلطان عبد الحميد الثاني بالزاوية والذي كان يرسل لها الهدايا ويوقف عليها الأوقاف.
 - ✓ دور السلطان العثماني محمد رشاد في المقاومة ودعم المجاهدين يدل على تحرره من سيطرة الاتحاديين واستمرار فكرة الجامعة الإسلامية.
 - ✓ كانت زليتن بمنارتها الأسمرية محطة هامة عبر جميع مراحل التاريخ ومنبرا للدعوة للجهاد إبان تعرض البلاد للغزو الإيطالي، فقد كانت إحدى محطات الأمير علي بن عبد القادر الجزائري .
 - ✓ أن الأمير علي بن عبد القادر الجزائري جاء موفدا من السلطان العثماني للدعوة للجهاد ضد الغزو الإيطالي.
 - ✓ أن المدينة تزخر برصيد هائل من الوثائق التي تحتاج للبحث والدراسة لإبراز تاريخ المدينة القديم.

التوصيات:

- 1- الاهتمام بالمخزون التراثي للمدينة وإظهاره للبحث والدراسة.
- 2- حث الجامعة الأسمرية على توجيه طلابها المتخصصين في مجالات التاريخ والمكتبات والمعلومات والدعوة الإسلامية إلى دراسة تراث المدينة ومراكزها الثقافية التاريخية من خلال ربط بحوث التخرج ورسائل الماجستير حول تاريخ المدينة.
- 3- يوجه الباحثان عناية مركز البحوث والدراسات العلمية بالجامعة الأسمرية إلى دعم الباحثين لإعداد دراسات تاريخية حول المدينة.

دراسة لوثيقة تاريخية بشأن "زيارة الأمير علي عبد القادر الجزائري لمدينة زليتن"

- 4- تشكيل لجنة من أكاديمي الجامعة المتخصصين في التاريخ للتواصل مع مركز الوثائق والمخطوطات بالزاوية الأسمرية لإعداد مذكرة تفاهم حول مشاريع علمية مشتركة تساهم في إبراز تاريخ الزاوية وتوثيقه.
- 5- دعوة سكان المدينة ومؤسساتها الأهلية إلى التفاعل والتواصل مع الباحثين والدارسين المختصين لمدهم بما لديهم من مخزون شخصي للوثائق والمخطوطات التي تساهم في إبراز تاريخ المدينة المشرف.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: الوثائق والمخطوطات والروايات

- وثيقة مخطوطة من سجل الزيارات محفوظة بأرشيف الزاوية الأسمرية.
- وثيقة مشترى السلطان عبد الحميد الثاني لعقار في طرابلس وتوقيفه لصالح زاوية الشيخ عبد السلام الأسمر محفوظة في الأرشيف العثماني تحت رقم: 855/5/2.
- وثيقة مطالبة أهالي زليتن من السلطان العثماني بترفيه القضاء محفوظة في الأرشيف العثماني تحت رقم: 73/17/1.
- رواية شفوية من الأستاذ فتحي سالم الزريقاني مدير مركز الزاوية الأسمرية للوثائق والمخطوطات.

ثانياً: الكتب

- الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، تح: نزار أباضة، 1994م، دار الفكر المعاصر بيروت دمشق.
- أعلام ليبيا، الطاهر أحمد الزاوي، ط: 2، 1971م، مؤسسة الفرعاني طرابلس.
- الأعلام، خير الدين الزركلي، ط: 15، 2002م، دار العلم للملايين بيروت.
- تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي بيروت.
- تاريخ المكتبات والوثائق والمخطوطات في ليبيا، عبد الله الشريف ومحمد الطوير، 1998م، دار الملتقى للطباعة والنشر بيروت.
- تنقيح روضة الأزهار، البرموني، تح: محمد مخلوف، مكتبة زهران مصر، 1997م.
- التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، ابن غليون، تح: الطاهر الزاوي، ط: 2، 1967م، مطبعة الفجالة الجديدة طرابلس.
- جمعية الاتحاد والترقي وأثرها في قيام الثورة العربية الكبرى، عهود محمد الخرشة، رسالة ماجستير مقدمة في جامعة مؤتة الأردن سنة 2004م.
- جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، تح: عبدالسلام هارون، دار المعارف مصر.
- حياة طبيب الذكر الأمير علي بن عبد القادر، نخبة من الكتاب برعاية الأمير محمد سعيد، 1918م، مطبعة الترقى دمشق.
- زليتن دراسة في العمارة الإسلامية، سعدي الدراجي، 2003م، منشورات القيادة الاجتماعية زليتن.
- سلاطين الدولة العثمانية، صالح كولن، ترجمة منى جمال، 2014م، دار النيل للطباعة والنشر القاهرة،
- سكان ليبيا، هنريكو دي أوغسطيني، تعريب خليفة التليسي، 1975م، دار الثقافة بيروت.
- في أصول التاريخ العثماني، أحمد عبدالرحيم مصطفى، 1982م، دار الشروق بيروت.
- معجم البلدان، ياقوت الحموي، ط: 2، 1995م، دار صادر بيروت.
- معجم البلدان الليبية، الطاهر أحمد الزاوي، دار الاتحاد والطباعة، 1968م.
- معجم معارك الجهاد في ليبيا، خليفة التليسي، دار العربية للكتاب، 1983م.
- مقدمة في علم الوثائق، محمد إبراهيم السيد، 1987م، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة.
- من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا، جورج ريمون، ترجمة محمد عبد الكريم الوافي، ط: 3، 1988م، منشورات جامعة قاريونس بنغازي.
- من طرابلس إلى فزان، الرحالة جون فرانسيس ليون، ترجمة مصطفى جودة، 1976م، دار العربية للكتاب تونس.
- منطقة زليتن دراسة في جغرافية السكان، مفتاح البرطاع، كلية الآداب والعلوم زليتن جامعة المرقب.
- نبات الحلفا كمورد اقتصادي بولاية طرابلس، فتحية المريمي، 2006م، منشورات مركز جهاد الليبيين.
- <https://ar.wikipedia.org/wiki>

A study of a Historical Document on The Visit of Prince Ali Abdel Qader Al Jazaery to Zliten

Muhammad Ahmad Shamila

Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Alasmarya Islamic University

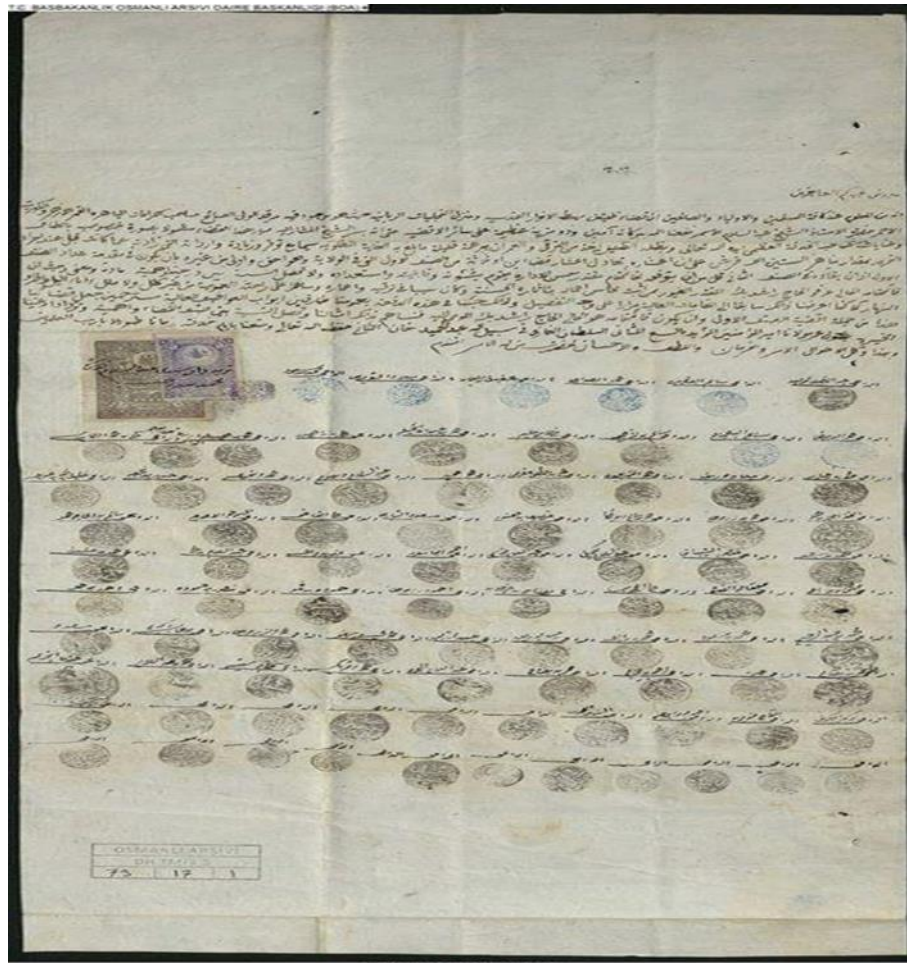
Hamza Abdel Salam Zuwaïd

Department of History, Faculty of Arts, Alasmarya Islamic University

Abstract:

The Italian invasion of Libya is considered one of the most important phases in the modern and contemporary history of Libya in particular and the Islamic world in general. It was the result of international and local circumstances that went beyond the relationship between Italy and Tripoli the West, which was affiliated with the Ottoman Empire, which carried, with this dependency, the responsibility of defending this state. This study aimed to present and analyzing a historical document from the “Al-Zawiya Al-Asmariya” archive that documented the visit of Prince Ali, Prince Abdul Qadir Al-Jazaery’s son, sent by the Ottoman Sultan “Muhammad Rashad V” to the people of Zliten, inciting them to fight the Italians. The researchers followed the historical method based on description, narration and analysis. The study concluded many results, most notably that the Ottoman Sultan was interested in supporting the Mujahideen and that the city of Zliten was an important station for the events of that stage.

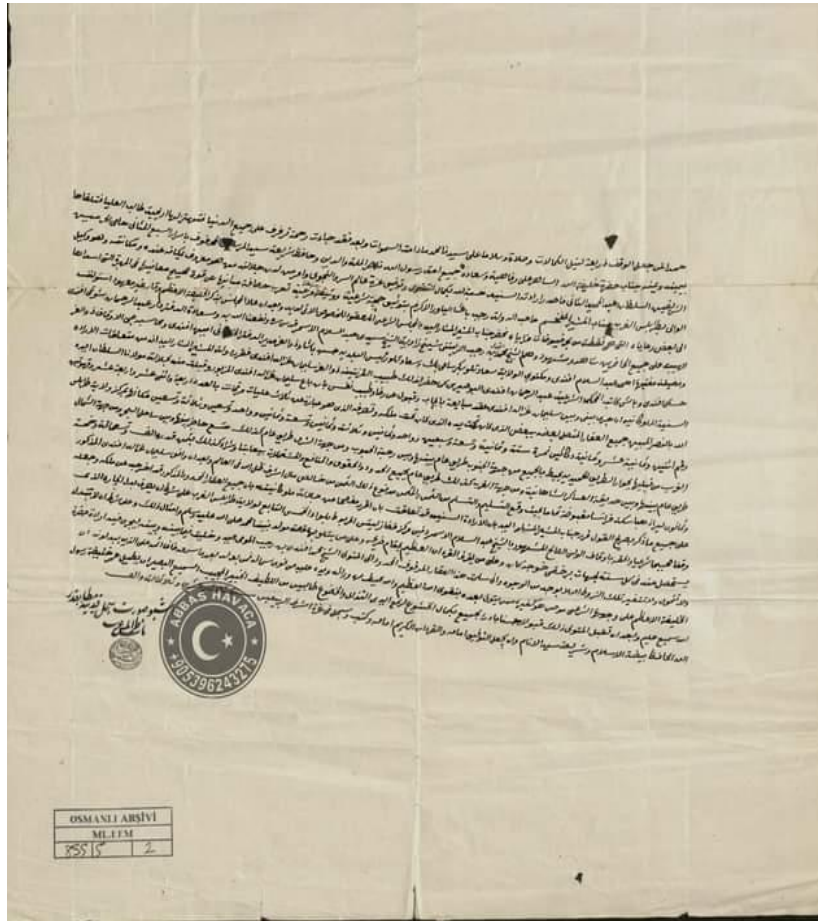
Keywords: Zliten, Al-Zawiya Al-Asmariya, Prince Ali Ibn Abdel-Qader Al-Jazaery, Sultan Muhammad Rashad V



ملحق رقم: 2

مطالبة أهالي زليتن من السلطان العثماني بترفيه القضاء محفوظة في الأرشيف العثماني تحت رقم: 73/17/1

دراسة لوثيقة تاريخية بشأن "زيارة الأمير علي عبد القادر الجزائري لمدينة زليتن"



ملحق رقم: 3

مشتري السلطان عبد الحميد الثاني لعقار في طرابلس وتوقيفه لصالح زاوية الشيخ عبد السلام الأسمر محفوظة في الأرشيف العثماني تحت رقم: 855/5/2



سرت : الأمير علي باشا ، ابن الأمير عبد القادر الجزائري
وعلى يساره ابنه الأمير عبد القادر وعلي يمينه قائم مقام سرت

ملحق رقم: 4

الأمير علي مع قائم مقام سرت نقلت من كتاب جون ريمون